أنَسيتَ أنَّكَ في المدينة؟

كلمة الشيخ الدكتور

عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر

ألقاها في الجامعة الإسلاميّة بالمدينة النّبويّة



فرّغها واعتنى بها

سالم الجزائري

شبكة الإمام الآجري www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صلَّىٰ الله وسلَّم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين..

اللّٰهمَّ لا علم لنا إلَّا ما علَّمتنا، اللّٰهمَّ علِّمنا ما ينفعنا وزدنا علمًا، اللّٰهم إنَّا نسألك علمًا نافعًا وعملًا صالحًا ورزقا طيِّبًا.

خطر في ذهني هٰذا الصَّباح محاضرة كُنْتُ سمعتُها في هٰذه الجَامعة وأنا طالب قبل أكثر من عشرين سنة، تذكَّرتُ عنوان تلك الكَلمة، وهو عنوان في الحقيقة جميلٌ جدًّا، وينبغي أن يتوارد علىٰ ذهن طالب العلم في هٰذه الجَامعة كثيرًا؛ بل إنَّه عنوانٌ جميلٌ لمحاسبة النَّفس وتِذْكارٌ طيِّب لعظيم النِّعمة التي أنعم الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بها علىٰ طالب العلم بهٰذا المَجيء والقُدوم إلىٰ هٰذا البلد وإلىٰ هٰذه الجَامعة.

كان عنوان تلك المُحاضرة:

أنسيتَ أنَّك في المَدينة؟!

وحقيقةً ينبغي علىٰ من أكرمه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بالقدوم إلىٰ هٰذا البلد المبارك - بلد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لطلب العلم أن يتذكَّر دائمًا هٰذه المنَّة العظيمة والتَّيسير الكبير الذي هيَّأه ويسَّره ربُّ العالمين جلَّ وعلا.

جميلٌ -يا طالب العلم- أن تُذكِّر نفسك بهٰذه التَّذكرة، وأن تقول لنفسك: أنسيت أنَّك في المدينة؟! وأن تقول لها: أنسيت أنَّك في الجامعة الإسلامية؟!

وإذا ذُكِّرت النَّفس بهٰذا الأمر وعِظم هٰذا المقام وعظم هٰذه المكانة ورفيع هٰذا الشَّأن فُتِحَ للعبد بإذن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- خيرٌ عظيم.

ويُعينك -أيُّها الأخ الموفَّق- علىٰ حُسن التَّذكار وحُسن المحاسبة في هٰذا الباب العظيم وأنت تقول لنفسك: أنسيت أنَّك في المدينة؟ أقول: مما يعينك علىٰ ذلك أن تلتفت بذاكرتك إلىٰ زملائك ورفقائك في البلاد أيَّام الدِّراسة في مراحل الدِّراسة الأولىٰ، تذكَّر أولئك الزُّملاء، وأولئك الرُّفقاء، وأولئك الذين لعبْتَ معهم وصحبتهم وضحكت

وإيَّاهم وتآنست وإيَّاهم، تذكَّر أولئك الزُّملاء، أين هم؟ وماذا هم؟ وأيُّ شيء يصنعون؟ وبماذا يفكِّرون؟ وما شأنهم مع الغاية التي خُلقوا لأجلها ووجدوا لتحقيقها ألَا وهي عبادة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-؟ كيف شأنهم مع الشُّبهات؟ وكيف شأنهم مع الشَّهوات؟ وكيف شأنهم مع الصَّوارف والصَّواد المتنوِّعات، تذكَّر حال هٰؤلاء وحالك، فأنت في المدينة، وهم كثير منهم لا تدري أين هم وماذا يصنعون.

لكنَّك أنت في المدينة، في مأرز الإيمان، في بلد الرَّسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، في البلد الذي شعّ وشاع وانتشر دين الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- منه إلىٰ الآفاق، حتىٰ البلد الذي قدمت منه، ولو كان في أقاصي الدُّنيا جاءه الإيمان من المدينة، «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَىٰ جُحْرِهَا**».[1]

فأنت في المدينة، أنت -يا طالب العلم- في المدينة هٰذه كلمة عظيمة جدا؛ ينبغي أن تُدَوِّي في فؤادك، وأن تجول في خاطرك ونفسك كثيرا، وأن

(١) أخرجه البخاري رحمَهُ اللهُ (ح١٨٧٦)، ومسلم رحمَهُ اللهُ (١٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تعي جيِّدا هٰذه النِّعمة، وأن تكون علىٰ ذِكْرٍ منها.

وثق -أيُّها الأخ- أنّك إذا ذكرت النِّعمة وعرفت قدرها وقدرت هٰذه النِّعمة قدْرها وتحرّكت نفسُك بالشُّعور بها فإنّ هٰذا يفتح لك باب الشُّكر لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- واللَّهَج بحمده وحسن الثَّناء عليه.

ومن ثَمَّ أيضًا يفتح لك باب حسن العمل وحسن الإقامة وحسن الأدب في هٰذا البلد المبارك بلد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

من هٰذا البلد المبارك شَعَّ الإيمان وانتشر العلم وعمّ الضِّياء، وانطلق الدُّعاة إلىٰ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- في أنحاء الأرْض، هنا وهناك، في المشرق والمغرب، في جهات العَالم، ودخل النَّاس في دين الله أفواجًا، يأتي إلىٰ هٰذا البلد الوفود في زمن النَّبيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبعد زمنه فيتلقَّون العلم وينطلقون دعاة إلىٰ العلم وإلىٰ الحق وإلىٰ الهدىٰ ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:١٢٢].

هكذا كان شَأْنهم، وهكذا كانت حالهم في مَقْدَمهم إلىٰ المدينة، فما شأنك أنت وقد قدمت

إلىٰ المدينة؟ أنسيت أنَّك في المدينة؟!

ولهٰذا وصيَّتي لك -أيُّها الأخ الموفَّق المبارك- أن تذكر دومًا هٰذه النِّعمة العُظمىٰ، وهي نعمة اصطفاء الله -جلَّ وعلا- لك من بيْن زُملائك ومن بيْن إخوانك ورفقائك ومن بيْن أصحابك حتىٰ يسَّر الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لك هٰذا المجيء إلىٰ المدينة؛ إلىٰ مأرز الإيمان.

فاذكر -يا عبد الله- نعمة الله عليك، اذكر منَّة الله -جلّ وعلا- عليك قول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [النمل:١٩] وكن لله حامدًا، واعمل - يا عبد الله- شكرًا لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- علىٰ منِّه وتوفيقه وتيسره وتسديده.

كان الله لكم جميعًا موفِّقا ومعينًا ومسدِّدا ومؤيِّدا وحافظًا بمنِّه وتوفيقه وتسديده.

والله أعلم وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله.

